**منهج البحث في علم اجتماع السكان (التسجيل الحيوي والبيانات الجاهزة)**

**تاريخ التسجيل الحيوي:**

يمثل التسجيل الحيوي المصدر الثاني للمعطيات السكانية. وليس لعملية جمع المعطيات الحيوية جذور ثابتة في التاريخ كما هو الحال بالنسبة للتعداد، ولكنها عملية ترد بأصولها إلى العصور الوسطى، حيث جمعت في ذلك الوقت بعض الإحصائيات الحيوية من طبقات سكانية معينة. ثم أصبح نظام التسجيل الحيوي نظاماً عالمياً، ومع ذلك لم تتمكن إلاَّ بلاد قليلة من إقامة نظم كاملة للتسجيل الحيوي.

**تعريف التسجيل الحيوي:**

يرى البعض إنَّ المقصود بتسجيل الأحداث الحيوية هي الأحداث التي تقع خلال سنة ميلادية عموماً وهي عملية تتم عن طريق مشروعات التسجيل المصممة لقيد جميع هذه الأحداث من مواليد ووفيات وهجرة وحالات زواج وطلاق وقت حدوثها.

ويختلف التسجيل الحيوي عن التعداد في أنَّ الأول تسجيل للأحداث والثاني تسجيل للأشخاص. وعملية التسجيل الحيوي عملية إجبارية ومجالها أضيق من مجال التعداد، وتعدّ عملاً مكتبياً موزعاً على العالم بطوله وهو من السهولة بمكان إلى الحد الذي اعتبره عملاً مكتبياً.

ويرى البعض أنَّ التسجيل الحيوي يهتم بتسجيل الأحداث الحيوية مثل: الميلاد والوفاة والزواج والطلاق والانفصال والهجر. وتتعلق هذه الأحداث بدخول الفرد أو خروجه من الحياة، إلى جانب التغير في حالته المدنية التي قد تحدث له خلال حياته. وتمدنا إحصائيات التسجيل الحيوي بوسائل قياس التغيرات في السكان بين التعدادات المختلفة، كما تفيد في أغراض أخرى.

ويمكن القول أنَّ التسجيل الحيوي نظام حكومي تقيمه الدولة في صورة مكاتب تنتشر في أرجاء البلاد لتسجيل الأحداث الحيوية بطريقة روتينية وإجبارية، تلك الأحداث التي تتعلق بدخول الفرد أو خروجه من الحياة أو بالتغير في حالته المدنية التي تحدث له خلال حياته، ولاسيما حالات المواليد والوفيات والهجرة والزواج والطلاق والانفصال والهجر، وذلك في وقت حدوثها أثناء العام.

**أهمية التسجيل الحيوي:**

تتمثل أهمية التسجيل الحيوي في اعتباره مصدراً مهما وأساسياً ومباشراً للمعطيات السكانية حول عوامل نمو وتغير السكان ولاسيما عوامل المواليد والوفيات والهجرة. كما تساعدنا على قياس التغيرات في السكان بين الفترات المختلفة سواء في حجم أو تكوين أو توزيع السكان، أم في حجم الأسرة وتكوينها بالنظر إلى واقعات الزواج والطلاق والانفصال والهجر خصوصاً. ولاشك أنَّ هذه المعطيات تفيد في التعرف على اتجاهات التطور حالياً وفي المستقبل، الأمر الذي يمكن الاعتماد عليه في وضع الخطط والبرامج المناسبة.

**صعوبات التسجيل الحيوي:**

* على الرغم من أنَّ التسجيل الحيوي يتناول مجتمعاً معيناً المفروض أنه المجتمع السكاني بأكمله، إلاَّ أنَّ هذه العملية تنطوي على بعض العيوب، فقد تستبعد أجزاء مهمة من المجتمع نتيجة لإهمال عملية التسجيل في قطاعات المجتمع بأكمله. أو قد يكون هناك تراخٍ في تنفيذ قوانين وتعليمات التسجيل فتحذف بعضها. وتختلف البيانات المحذوفة باختلاف نوع الواقعات، فقد يكون تسجيل المواليد أكثر دقة واكتمالاً من تسجيل الوفيات، كما يختلف دقة ومستوى تسجيل المواليد والوفيات عن دقة تسجيل الزواج والهجرة حتى لو كانت كلها تخضع لنظام واحد.
* كما تختلف مستويات الدقة من منطقة لأخرى داخل البلد نفسه.
* قد يكون التسجيل الحيوي عرضة لأخطاء التصنيف واحتساب بعض المواليد أحياء ولادات ميتة، وبعض الزيجات الثانية زيجات أولى، كما يتعرض التسجيل لأخطاء في تسجيل الأحداث حسب زمانها ومكانها، أو يتأخر التسجيل فترة زمنية للإهمال في التبليغ مثلاً.
* يصعب إتباع تعليمات نظام التسجيل كاملة أو إتباع التعليمات بطريقة واحدة بين القائمين بالتسجيل في كل مكاتب التسجيل.

**طريقة تحليل البيانات الجاهزة:**

كان حرص الباحثين على الاقتصاد في الوقت والجهد والإمكانيات في عملية البحث ودراسة الظواهر السكانية من أهم الدوافع التي جعلتهم يفكرون في استخدام بيانات في متناول اليد جاهزة ومعدة لأغراض غير البحث العلمي.

ودراسة السكان أخذت صوراً متعددة من أهمها: السجلات الإحصائية والتقارير الرسمية بحيث كان تحليل البيانات التي توفرها هذه الأساليب من أهم طرق دراسة السكان التي لها أهميتها واستخداماتها وخصائصها ووسائلها وعيوبها.

تعريف طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

هي طريقة غير مباشرة تستعين بالبيانات التي توفرها السجلات الإحصائية والتقارير الرسمية، بحيث تستعين بالسجلات الإحصائية التي تصدر عن تعدادات السكان والتقارير الرسمية التي تصدرها المؤسسات الصحية والاقتصادية والحكومية والصناعية والتعليمية والتربوية والجوازات والهجرة والمؤسسات التجارية والمصرفية والسياسية والنقابية والقوى العاملة والعسكرية ... وغيرها، والتي تنطوي على بيانات تتعلق بالسكان ونوعهم وأعمارهم وحجمهم ومهنهم والمستويات الصحية والمواليد والوفيات والأجور وساعات العمل والكفاية الإنتاجية ومعدلات الجريمة ومعدلات التعليم والقوى العاملة والموارد البشرية والإنتاج القومي... الخ.

خصائص ومميزات طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

تعكس طبيعة البيانات التي تعتمد عليها طريقة تحليل البيانات الجاهزة بعض الخصائص والمميزات المهمة منها:

* أنَّ بيانات السجلات الإحصائية مثلا قد تم جمعها على فترات متباينة الأمر الذي يسهم بدوره في جعل هذه البيانات تفيد في الوقوف على اتجاهات التطور في جوانب الحياة الاجتماعية التي تعبر عنها هذه البيانات.
* كما أنَّ هذه البيانات قد جمعت في المجرى الطبيعي لوقوع الأحداث مما يعكس موضوعيتها، بالمقارنة بالبيانات التي يقوم بجمعها باحثون قد يؤثر وجودهم في تعاون أفراد المجتمع وفي تحيزهم.
* كما تتميز هذه البيانات بأنها تمنح الباحث فرصة التعامل مع مادة سبق جمعها تعبر عن وحدات كبرى في المجتمع هي القرية أو المدينة أو الدولة ككل، وتعتمد على المجموع الكلي للسكان من خلال الحصر الشامل أو التعداد أكثر من اعتمادها على العينات، مما يضفي عليها قيمة ودلالة يف التفسير والتعميم.

استخدامات طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

تتعدد استخدامات طريقة تحليل البيانات الجاهزة وتتنوع ما بين الاستفادة منها في التحقق من بعض الفرضيات العلمية وهذا ما حاوله (دوركهايم) عندما حاول التحقق من الفرضية القائلة.. هناك علاقة بين الانتحار والتكامل الاجتماعي... عن طريق تحليل السجلات الإحصائية عن الانتحار بين الجماعات الدينية المختلفة وبين العزاب والمتزوجين وغيرهم.

وقد تستخدم أيضاً السجلات الإحصائية في استكمال بعض مراحل بحث يجرى حول ظاهرة معينة، ولتكن مثلاً ظاهرة الجريمة بحيث تستخدم السجلات الإحصائية والتقارير الرسمية في مرحلة التعرف على حجم الجريمة واتجاهاتها وهكذا.

وتستخدم السجلات الإحصائية كذلك في اختيار حالات للبحث تتميز بخصائص محددة يمكن اعتبارها من بين عينة البحث الأكثر تعمقاً، ذلك أنَّ هذه السجلات تفيد في التعرف على الخصائص المتباينة لجمهور السكان، الأمر الذي يسهل معه اختيار حالات ضمن هذه الفئات المختلفة لها بعض الخصائص المفضلة في البحث.

عيوب طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

من أهم عيوب هذه الطريقة أنَّ السجلات الإحصائية والتقارير الرسمية تستخدم مفاهيم قد لا تتفق مع المفاهيم المستخدمة قي البحث ودراسة السكان. وأنَّ كثيراً من بيانات هذه السجلات مشكوك فيها ولاسيما فيما يتعلق بالدخل وميل الأفراد في هذا الصدد إلى تقديم بيانات غير دقيقة تهرباً من الضرائب مثلاً.